دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	البحرين في مخططات محمد علي باشا 1819 - 1840
المصدر:	مجلة العرب والمستقبل - مركز دراسات وبحوث الوطن العربي بجامعة المستنصرية - العراق
المؤلف الرئيسي:	المحمدي، صبري فالح
المجلد/العدد:	س 3, ع 11
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الشهر:	نيسان / ربيع الاول
الصفحات:	53 - 73
رقم MD:	331539
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	مصر، البحرين، الموقع الجغرافي، الملوك و الحكام، العصر العثماني، الخليج العربي، الجوانب السياسية، القادة العسكريون، الاتفاقيات الثنائية، محمد علي باشا، والي مصر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/331539

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

البحرين في مخططات محمد علي باشا
١٨١٩ – ١٨٤٠

■ د. صبري فالح المحمدي *

بعد تمكنه من احكام سيطرته على مصر ونجاحه في القضاء على معارضيه في الحكم من المماليك عام ١٨١١ في مذبحة القلعة ، عمل محمد علي باشا والي مصر العثماني على محاولة النهوض باوضاع مصر واصلاحها لاقامة دولة قوية فيها ، وعلى هذا ابتدأ مشروعه النهضوي العربي باقدامه على اجراء اصلاحات عسكرية واجتماعية واقتصادية داخل البلاد غرضها توفير المستلزمات الاساسية بغية الوصول الى حلمه الكبير بقيام مصر الحديثة المرتكزة على التطور العلمي في شتى مجالات الحياة ، ولتكون النواة المنشودة لأنضمام باقي أجزاء الوطن العربي وفق رؤية محمد علي باشا، ولاجل تحقيق هذا الغرض كانت حملاته العسكرية التي انطلقت من مصر متوجهة الى بلاد الشام والسودان ومناطق شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي والتي استغرقت معظم النصف الاول من القرن التاسع عشر .

* كلية التربية /الجامعة المستنصرية.

كان لموقع البحرين الجغرافي وكثرة جزرها البحرية في شمال الخليج العربي اهمية استراتيجية فائقة للقوى المحلية والاوربية والتي تجاذبتها جزر البحرين وحظيت بالتالي باهمية خاصة في تطلعاتها للسيطرة على مناطق النفوذ في الخليج العربي ومنذ بداية العصور الحديثة ، الى جانب ما اضفاه عليها هذا الموقع المتميز من اهمية تجارية وسياسية جعل من البحرين منطقة ترنو اليها انظار القوى الاوربية التي وفدت الى المنطقة كالبرتغاليين والهولنديين والفرنسيين ثم البريطانيين وبعد ان نجحت قوات محمد علي باشا في احتلال الدرعية عاصمة الدولة السعودية الثانية عام ١٨٣٨ تنفيذاً لامر من السلطان العثماني، تحركت نحو سواحل الخليج العربي بقيادة خورشيد باشا والذي حقق عدة اتصالات مع شيوخ المنطقة، اذ جرت مفاوضات مصرية- بحرينية عام ١٨٣٩ اسفرت عن توقيع اتفاقية بين الجانبين تمخضت عن زيادة النفوذ المصري في البحرين، مما اثار قلق بريطانيا على مصالحها المتنامية هناك، والتي لجأت الى سياسة التلويح باستخدام القوة العسكرية لأجبار المصريين وشيخ البحرين على التراجع عن الالتزام بتنفيذ بنود الاتفاقية، وهدد المقيم البريطاني في الخليج العربي الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة على ضرورة تخليه عن الاتفاقية، غير ان الاخير ظل مصراً على موقفه القائم على تقوية صلاته مع السلطات المصرية في المنطقة ولم يتزحزح عن موقفه المعلن هذا، الا ان بريطانيا لم تقف مكتوفة الايدي ازاء تزايد الوجود المصري فأستطاعت ان تؤلب على محمد علي باشا الدول الاوربية الكبرى وتحرضها عليه خاصة بعد تهديد قواته في احتلال استانبول عاصمة الدولة العثمانية واجبرته بالتالي على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠ مما اضطره على سحب جنوده من المنطقة واحتفاظه بحكم وراثي داخل مصر .

- ممهدات التوسع المصري نحو الخليج العربي

كان التوسع السعودي في منطقة الاحساء ومشيخات الخليج العربي وجنوب العراق ومنطقة الحجاز هو السبب في التوجه العثماني نحو الجزيرة العربية بدءاً من سواحلها على البحر الاحمر حتى سواحلها على الخليج العربي، وتمثل الهدف العثماني في التخلص من هذه القوة العربية التي كان المأمول ان تسيطر على المنطقة العربية وتستخلصها من الحكم العثماني،واوكل الباب العالي الى محمد علي باشا(١٨٠٧-٨٤٠)

والي مصر بتحقيق هذه المهمة [1] خاصة بعد فشل والي كل من بغداد ودمشق في وقف التقدم السعودي ، وبذلك تصاعد الخطر الحقيقي الذي كان يهدد نفوذ الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية وفي منطقة حساسة كالحجاز التي تضم الاماكن المقدسة باعتبارها حامية الحرمين الشريفين [1] فأوعز السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٧) الى محمد علي باشا عام ١٨١١ لقيادة حملة عسكرية لاعادة تلك المناطق للحكم العثماني، اذ لم يكن بمقدور الدولة ان تهيأ جيشاً كبيراً وتحارب السعوديين لاضطراب اوضاعها الداخلية وانشغالها في الحرب مع روسيا [2] وتوافق ذلك مع طموحات والي مصر في اقامة دولة عربية واسعة تحت زعامته[3].

بعد ان استكملت كل الاستعدادات امر محمد علي باشا ابنه احمد طوسون باشا بقيادة الحملة العسكرية التي قدر عدد افرادها بحوالي (١٤) ألف جندي وقد تحركت نحو الجزيرة العربية وتمكنت من احتلال ينبع ثم اتجهت نحو المدينة المنورة وفي وادي الصفراء دارت معركة بالغة العنف في عام ١٨١١ بين الجنود المصريين والقوات السعودية التي كان يقودها عبد الله بن سعود اسفرت عن هزيمة المصريين [4]، واجبارهم على العودة بقوتهم المنكسرة الى ينبع ، وقد افاد القائد المصري من عدم ملاحقة السعوديين لجيشه المتقهقر بهدف اعادة تنظيم قواته ، فيما اخذ محمد علي باشا يستعد لحملة جديدة ، ولهذا السبب ارسل مبالغ كبيرة من المال لأبنه من اجل توزيعها على شيوخ القبائل لكسبهم الى جانبه ضد خصومه السعوديين ، ونجحت الخطة في استمالة قبيلة حرب ، وهكذا استطاعت الحملة الثانية من النزول في ينبع بعد قرابة السنة من تمزيق الحملة الاولى وكانت تتألف من خمسة آلاف جندي ثم زحفت مع فلول

١- د. رافت غنيمي الشيخ ، التوجة العثماني نحو الخليج العربي من خلال محمد علي ، مجلة الوثيقة، العدد ١٦، السنة ٨ ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ،جمادي الثانية ١٤١٠ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠م، ص ٦٧ .

1 –Randal . Baker ; King Husain and The Kingdom of Hejaz , New York , U . S .A . P.2 .

2 –Halroy'd , A; Agypt and Mohammed Ali Pasha in 1837 , London , 1838 , P 44 .

3 –George . Pentz ; Wahhabism and Saudi Arabia , in the "Arabian Peninsula Society and Polities" By Derek Hopwood , London , 1972 , P . 61.

4 –Naval Intelligence Division , Western Arabia and Read Sea , Oxford , 1946 , P . 267.

الحملة القديمة نحو المدينة المنورة والتي دخلتها القوات المصرية في تشرين الثاني عام ١٨١٢ بعد مقاومة بسيطة ابدتها الحامية السعودية [٥].

في هذا الوقت اخذ الشريف غالب بن مساعد (١٧٨٧-١٨١٣) امير مكة يراسل احمد طوسون باشا ويحسن له التقدم الى مكة ويخبره بضعف القوة السعودية المرابطة فيها ، وهو ما اثار القلق لدى عبد الله بن سعود واجبره على سحب قواته من مكة والطلب من قائده عثمان المضايفي ان يسرع للدفاع عن الطائف والتي دخلها بالفعل ، الا ان الاحداث اللاحقة المتمثلة بسقوط مكة بايدي المصريين في كانون الثاني عام ١٨١٣ قد اجبرت المضايفي[١] على الانسحاب من الطائف التي دخلها القائد المصري واللحاق بالقوات السعودية المتمركزة في الدرعية ، وقد اشار الى ذلك المؤرخ النجدي الذكير بالقول : ((ولما ورد سعود الى نجد تقدم الجيش المصري من المدينة المنورة الى مكة المكرمة وذلك بطلب من الشريف غالب ، فلما بلغ عبد الله بن سعود خبر الشريف واستدعائه العساكر المصرية وخيانته لم يأمن على الجند الذي في مكة فسحبه منها ورحل عبد الله من موضعه ونزل البيلا ثم امر عثمان ان يتجهز الى الطائف وضبطها فسار اليها وقد دخل الطائف ولما رحل عنها قافلاً استوحش وخاف على نفسه فخرج منها منهزماً بعياله وحرمه وبعض خيله ثم دخل الجيش المصري مكة بدون ان يلقى اية مقاومة ثم ارسلوا قوة الى الطائف وضبطوها)) .[٢]

ولأجل ضمان نجاح الحملة المصرية في تحقيق اهدافها المتمثلة في السيطرة على الجزيرة العربية وانهاء النفوذ السعودي فيها ، فقد توجه محمد علي باشا – بناء على اوامر مشددة من الباب العالي ـ على رأس جيش كبير قدر عدد افراده بعشرين ألف جندي ليتولى بنفسه الاشراف على العمليات العسكرية ، حتى وصل جدة في ٣١ آب عام ١٨١٣ ، وكان في استقباله ولده احمد طوسون باشا والشريف غالب بن مساعد

٥- لمزيد من التفاصيل انظر ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي١٢٢٨ /١٣٠٧ هـ / ١٨٣٢-١٨٩٠م، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الاخر والاول، تصحيح وتعليق عبد الكريم شرف الدين ، بمباي ، ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣م ، ص ٣٠٧ .

١- تم القاء القبض على عثمان المضايفي وبعث به الى مصر مقيداً بالاغلال .

٢- انظر مقبل بن عبد العزيز الذكير ، العقد الممتاز في اخبار تهامة والحجاز ، مخطوط في دائرة المخطوطات ، بغداد ، تحت رقم(٤٠٣٥٤) الورقة ٧٤ .

فدوت المدافع تحية له[٣] ، بعدها توجه الى المدينة المنورة وزار قبر النبي محمد (صلى اله عليه وسلم) ثم دخل مكة ،[٤] الا انه لم يمكث هناك لكي يتابع النصر الذي احرزه في المرحلة الاولى من الحملة ، فبعد نجاحه في توثيق صلاته مع بعض قبائل المنطقة واتخاذه لاجراءات من شأنها تقوية قبضته هناك ، عاد الى القاهرة في ٢٣ حزيران عام ١٨١٥ لورود اخبار عن اضطراب احوالها وتمرد المماليك فيها ، تاركاً لولده احمد طوسون باشا قيادة العمليات الحربية والذي لم يلبث ان اتفق مع السعوديون على عقد هدنة في ذات الشهر ، واورد ذلك بالتفصيل صاحب كتاب لمع الشهاب بقوله : ((ثم ان محمد علي باشا بعد الحج وترتيب بعض الامور التي اراد ضبطها مع بعض القبائل خرج من ارض الحجاز يريد مصر بعجلة ، حيث انه سمع بخروج المماليك في مصر وتغلبهم عليها وان مصر مضطربة ، سار من ساعته مع ثمانية آلاف عسكري ، ولما وصل مصر دبر امراً هلك به كثيراً من المخالفين ، ثم انه خلف ابنه تسم باشا في ارض العرب واكد عليه بحرب آل سعود)). [١]

استغل السعوديون تلك الاوضاع المضطربة ولم يلتزموا بالهدنة التي وقعوها مع القائد المصري، اذ راحوا يعملون على حشد قواتهم الى جانب تعمدهم في اثارة القبائل على الحكم المصري الذي بسط نفوذه على المدن السعودية ، في وقت ادرك فيه والي مصر عدم قدرة ابنه احمد طوسون باشا على الحاق الهزيمة بعدوه فطلب من الاخير العودة الى مصر وشرع يعبأ حملة جديدة عام ١٨١٥ عهد بقيادتها الى نجله ابراهيم باشا لفتح الدرعية فأستأنفت الحرب في مرحلتها الثانية ومما يعزز ذلك ما اكدته المصادر العثمانية بالقول: ((فهم محمد علي ان طوسون باشا ليس له الكفاية ـ من حيث سنه ووضعه ـ لكي يقضي على هذا الامر ، فعزله وامره بالعودة الى مصر ، واحال قيادة جيش مصر الى نجله ابراهيم باشا ، اذ جاء في المخطوط العثماني (حجاز سيا حتنامه سى الورقة(١٢٤) ما يلي : ((.... وامتثالاً لهذا الامر ـ امر السلطان ـ بعث محمد علي باشا ابراهيم باشا برفقة أربعة آلاف من المشاة من جنود الجيش المصري

٣- د . السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (١٨٤٠-١٩٠٩) القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٥ .

4- - A . Abir ; The Arab Rebellion of Amir Chalib Mecca (1788 –1813)) Middle Eastern Studies , VOL . 2 . May 1916 . P . 189 .

١- مؤلف مجهول ، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د. احمد مصطفى ابو حاكمة ، بيروت ، ١٩٦٧، ص ١١٨ .

النظامي وألف ومائتين من الخيالة مع المدافع قدر اللزوم الى قوزير [٢] بساحل مصر مقابل ينبع من الشاطئ الاخر ليعبروا البحر من هناك متوجهين الى منطقة الحجاز سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٥م) .[٣]

وصل ابراهيم باشا وقواته الى المدينة المنورة وامضى هناك عدة أسابيع استعداداً للمعركة القادمة منتهجاً سياسة من شأنها استمالة بعض رؤوساء القبائل الى جانبه حيناً ، وفي أحايين كثيرة تم اللجوء الى استخدام القوة لغرض اخضاع عدد من القبائل الساكنة ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، الامر الذي مكنه من الدخول في اكثر من مناوشة عسكرية مع القوات السعودية وخاصة في موقعة الخابور قرب القصيم ـ التي تعد احدى نواحي نجد وتقع شمال الرياض ـ ملحقاً بها هزيمة ونجاحه بالتالي في دخول مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الاولى وتدميرها بعد استسلام الامير عبد الله بن سعود في ٩ ايلول عام ١٨١٨ ،[٤] الامر الذي مهد السبيل في تسريع تنفيذ الخطط المصرية باتجاه مشيخات الخليج العربي .

ـ مراحل التوسع المصري صوب البحرين

وتأسيساً على ذلك فان نجاح جيوش محمد علي باشا في الحجاز ونجد والتي انتهت كما رأينا عام ١٨١٨ بالقضاء على الدولة السعودية الاولى ، كان من نتائجها ان تطلع والي مصر بانظاره تجاه منطقة الخليج العربي ويعد ذلك نتيجة منطقية وثمرة من ثمار الوجود المصري في الحجاز ونجد خلال الاعوام بين (١٨١١-١٨١٨) بعد استسلام الدرعية والقاء القبض على الامير عبد الله بن سعود وارساله الى القاهرة اسيراً[١] ، ويمكننا القول ان حقبة التوسع المصري في منطقة الخليج العري قد مرت بمرحلتين، اذ ترجع المصادر التأريخية بداية العلاقات المصرية ـ الخليجية الى عام

٢- القوزير : أي القصير وهو الميناء المصري على البحر الاحمر .

٣- لمزيد من التفاصيل انظر د. عبد الفتاح حسن ابو عليه ، دراسة حول المخطوط التركي حجاز سيا حتتامه سى ، الرياض ،١٩٨٣ ، ص ص ٥٧-٥٨ .

٤- احمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية بمصر ، ص ٢٣٨ .

١- د. رأفت غنيمي الشيخ ، ارتباط النشاط المصري في الخليج بالنشاط المصري في الحجاز ونجد ، بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر ،جـ ٢ ، الدوحة ، اتحاد المؤرخين العرب (٢١-٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٦، ص ٨٤٧ .

١٨١١ منذ وصول حملة احمد طوسون باشا الى الحجاز في ذات العام وتمثل هذه الحقبة المرحلة الاولى من الحملات المصرية حين قدم السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦) سلطان مسقط عرضاً الى القائد المصري الزاحف بقواته على نجد والذي كان وقتذاك في حالة عداء مع السعوديين ، يقضي في ايجاد تحالف بين محمد علي باشا والسيد سعيد ، فيما عول احمد طوسون بذلك التحالف على المساعدات التي سيبعث بها سلطان مسقط بهدف القضاء على الخطر السعودي المشترك ، وعندما ارسل القائد المصري الى والده محمد علي باشا يستطلع رأيه في شأن ذلك اجابه بعدم الحاجة لذلك ، ويبدو ان الموقف العسكري في داخل نجد اخذ يتحول سريعاً الى صالحه بعد مقتل القائد السعودي مطلق المطيري اواخر عام ١٨١٣ وما أعقبه من وفاة الامام سعود الكبير في العام التالي ، ومع توالي الانتصارات التي حققتها القوات المصرية في نجد رغم المشكلات الكبيرة التي تعرضت لها فقد تم لأبراهيم باشا إسقاط الدرعية عاصمة السعوديين عام ١٨١٨م.[٢]

وتمثل رد الفعل البريطاني ازاء المرحلة الاولى من التوسع المصري بعدم معارضة بريطانيا لوصول القوات المصرية سواحل الخليج العربي ، بل تحقق تعاون مع تلك القوات في نجد والاحساء للقضاء على قوة القواسم البحرية في مياه الخليج العربي ، واعتقاد البريطانيون ان هناك عدواً مشتركاً للبريطانيين والمصريين هم السعوديون وحلفاؤهم القواسم ، ولعل ذلك يرجع الى ان النفوذ البريطاني لم يكن قد تدعم بعد، كما ان وصول القوات المصرية الى سواحل الخليج العربي في هذه المرحلة كان مقتصراً على تأمين العمليات العسكرية في نجد ، لذلك عمدت بريطانيا على الافادة من وصول القوات المصرية لقمع النشاط البحري للقواسم الذين هددوا مصالحها في الصميم .[١]

ومن الدرعية توجهت الحملة المصرية بقيادة ابراهيم باشا باتجاه الاحساء والقطيف المطلتين على الخليج العربي ، إستجابة لدعوة آل عريعر من بني خالد الذين شجعوا المصريين على فتح الاحساء على ان يكونوا نواباً عنهم في حكم البلاد ، وبفضل

٢- لمزيد من التفاصيل انظر د. جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتأريخ الأمارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧-١٨٤٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٤٥٦-٤٥٧ .

١- انظر غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص ٨٧١ ؛ قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٥٦ – ٤٥٨ .

الدعم المصري تمكن بنو خالد من السيطرة على الاحساء دون مقاومة لان فهد بن عفيصان عامل السعوديين عليها قد تركها وفر الى البحرين ، الا ان مجريات الاحداث السياسية تغيرت بعد ذلك اذ سرعان ما اخذ النفوذ المصري بالاحساء يهتز بشدة بعد تمكن شيوخ بني خالد الذين اصبحوا في ذلك الوقت مناوئين للحكم المصري من التأثير على والي العراق العثماني داود باشا الذي لم ينظر بعين الرضا الى تقدم القوات المصرية الى الخليج العربي وكان يخشى ان تلتقي مطامع محمد علي باشا مع المطامع البريطانية بالمنطقة واستطاع بذلك التأثير في الباب العالي الذي اوعز بدوره الى والي مصر بضرورة سحب جنوده في تموز عام ١٨١٩ ، وهكذا رجع آل عريعر لحكم الاحساء بمثابة ولاة من قبل الدولة العثمانية .[٢]

غير ان الانسحاب المصري المفاجيء من سواحل الخليج العربي قد احدث فراغاً سياسياً راحت تستثمره القوى المحلية لتحقيق مطامعها وفي مقدمتهم السعوديون الذين تمكنوا من زيادة نفوذهم، وتمثل ذلك في نجاحهم باسترداد الاحساء على يد الامام تركي بن عبد الله عام ١٨٣٠ ، مما اثار القلق لدى بني خالد خاصة بعد رحيل ابراهيم باشا من نجد الى المدينة المنورة ، وهو مادفعهم الى طلب مساندة السلطان العثماني [٣]، الذي اصدر اوامره الى محمد علي باشا باتخاذ الاجراءات الحربية السريعة للقضاء على حكم الامام فيصل بن تركي في نجد فبدأت المرحلة الثانية (١٨٣٣-١٨٤٠) من مراحل التوسع المصري صوب الخليج العربي ، فيما ارجع آداموف اسباب ارسال الحملة المصرية الجديدة الى عدم التزام الامير النجدي بالسير على خطى سياسة والده القائمة على اقامة علاقات طيبة مع السلطات المصرية في القاهرة وامتناعه بالتالي عن تقديم العون اللازم للحكومة المصرية في صراعها مع السلطان العثماني بل توقفه عن دفع الجزية لها [١] ، لهذا توغل جيش مصري عام ١٨٣٨ بقيادة خورشيد باشا في نجد مرة اخرى وحدثت معركة بين الجيش المصري وبين امير نجد فيصل بن تركي ومعه

٢- انظر قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٥٧ - ٤٥٩ .

٣- لمزيد من التفاصيل انظر محمد مرسي عبد الله، وثائق القلعة محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي ١٨٠٧ - ١٨٤٢، مجلة الوثيقة ، العدد ١٦، السنة ٨، جمادى الثانية،١٤١٠ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ م، ص ١٦ .

١- السكندر آداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، جـ ٢ ، ترجمة د. هاشم صالح التكريتي ، مركز دراسات الخليج العري بجامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٥ .

عمر بن عفيصان قائد جيشه بالقرب من الرياض ، اسفرت عن استسلام الامير السعودي للقوات المصرية اذ ارسل الى القاهرة وتم تنصيب خالد بن سعود - وهو اخو الامير عبد الله بن سعود الذي اعدمته السلطات العثمانية عام ١٨١٨ - اميراً عليها ، وكان خالد من جملة الاسرى الذين ارسلوا الى سجون مصر ، ولكنه لما اطلق سراحه لم يرجع الى بلاده بل بقي في مصر وصار موالياً لمحمد علي باشا الذي انعم عليه بلقب (خالد بك) ، وبذلك سقطت الدولة السعودية الثانية ،[٢] وتم بسط نفوذ والي مصر على جميع ما كانت تحت سلطة الامير النجدي من اقاليم الاحساء والقطيف الذي يحتل جزءاً كبيراً من شاطئ الخليج العربي ، واتخذت الاحساء مركزاً لتحرك القوات المصرية نحو شرق الجزيرة العربية وشمال الخليج العربي ، وافاد خورشيد باشا من ميناء القطيف باتخاذه مركزاً للاتصال بالامارات العربية ومنها البحرين محاولاً إغراءها للانضواء تحت سيادة محمد علي باشا [٣].

وعلى ذلك ينظر بعض المؤرخين للسيطرة المصرية على الاحساء والقطيف بانها مهدت الطريق لفرض الهيمنة المصرية على البحرين لارتباط الاخيرة باقليم الاحساء ارتباطاً وثيقاً ، ومن ثم لا نعجب ان يكون من مخطط خورشيد باشا مد نفوذ محمد علي باشا الى البحرين عبر الاحساء التي تمثل السيطرة عليها اهمية لانها تمثل معبراً هاماً للتجارة بين البحرين و دواخل شبه الجزيرة العربية ، وتوافق ذلك مع تعاقب اسرة آل خليفة في حكم جزر البحرين وكان على رأسهم في سنوات تخطيط خورشيد باشا وخاصة بين عامي (١٨٣٨-١٨٤٠) الشيخ عبد الله بن احمد (١٧٦٩-١٨٢٥). [٤]

اهتمت مصر بالبحرين من النواحي السياسية والاستراتيجية والاقتصادية فمن الناحيتين السياسية والاستراتيجية عد محمد علي باشا البحرين من ابرز المواقع التي ينبغي مد سلطانه اليها في منطقة الخليج العربي ، اذ عن طريقها يمكنه اكتساب ميزة التحرك السريع صوب اجزاء الخليج العربي الاخرى جنوباً : صوب امارات ساحل

٢-فالح حنظل ، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ، جـ ٢ ، لجنة التراث والتاريخ، ١٩٨٢ ، ص ٤٩٨ .

٣- د. صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، القاهرة ، (د . ت) ص ١٠٨ .

4 - Fereydaun , Adamiyat ; Bahrein Islands , Alegal Diplomatic Study of the British – Iranian Controversy , New York , 1935 , P . 125 ; غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص ٧٢ .

عمان بل وسلطنة عمان نفسها وشمالاً : صوب البصرة وبقية مناطق العراق ، ومن جهة اخرى فان السيطرة على البحرين تسهل على القوات المصرية الحصول على السفن اللازمة لنقل المؤن والامدادات من جهتي البصرة والكويت لأي عمليات عسكرية من أي نوع تجاه المناطق التي تتجه اليها انظاره في الخليج العربي ، اما من الناحية الاقتصادية فأن البحرين تضم افضل مغاصات اللؤلؤ والذي يعد مصدراً رئيسياً للثروة ، ويمكن الاشارة الى ان حصيلة تجارة لؤلؤ البحرين في القرن الثامن عشر كانت تصل الى نصف مليون روبية هندية سنوياً ، وهو مبلغ كبير تنازع من اجله المتنافسون على امتلاك البحرين ومن ثم الافادة من مواردها المادية ، كما نعمت البحرين بمساحات كبيرة من الاراضي الخصبة وساعد وجود ينابيع للمياه العذبة على قيام الزراعة ، الى جانب وجود مراكز تجارية عديدة في البحرين مكنت بعض الأسر من الحصول على عوائد مالية وافرة.[١]

جاءت علاقات خورشيد باشا القائد المصري مع الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة عن طريق حاكم الاحساء ووكيل الباشا هناك محمد افندي رفعت ، والذي زار جزر البحرين مبعوثاً من خورشيد باشا في ١٥ شباط عام ١٨٣٨ وقدم تقريراً الى السلطات المصرية حمل تاريخ ٢٢ شباط من العام ذاته ، اوضح فيه ان البحرين ذات اهمية قصوى لاستقرار الاحوال في الاحساء والقطيف ، فميناؤها هو الميناء الوحيد ذو الاهمية في شمال الخليج العربي ،لذلك عدت جزيرة البحرين ميناءاً للاحساء والقطيف وسبباً في رواج المنطقة وانتعاشها اقتصادياً.[٢]

عارضت بريطانيا وبشدة نشاطات خورشيد باشا حيال البحرين وابدت وزارة الخارجية التي كان يرأسها بالمرستون رفضها لمشروعات محمد علي باشا في الخليج العربي [٣] ، وشهد عام ١٨٣٨ تأزما في العلاقات المصرية – البريطانية حيث كتب الليفتنانت كولونيل تايلور Taylor) المقيم البريطاني في بغداد رسالة الى بالمرستون يوضح فيها العواقب التي سوف تترتب على تقدم القوات المصرية في سواحل الخليج

١- لمزيد من التفاصيل انظر د.ابراهيم خليل احمد ، موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا لتاسيس دولة عربية موحدة، مجلة الوثيقة ، العدد ٤، السنة ٢، ربيع الاخر ١٤٠٤هـ / يناير /كانون الثاني ٩٨٤م ، ص١٤٨ .

٢- غنيمي الشيخ ، التوجه ،ص٧٢.

٣- Haskins ; Back Ground of the British position in Arabia , vol .I, London, pp.138-143.

العربي ، وبادر بالمرستون بالكتابة الى الكولونيل كامبل Campbell) ممثل الحكومة البريطانية بالقاهرة طالباً منه الاستفسار من السلطات المصرية عن صحة هذه المعلومات ، مؤكداً ان هذه التحركات تنظر اليها الحكومة البريطانية نظرة غير ودية ، وسلم كامبل احتجاج بالمرستون وزير الخارجية البريطاني الى باغوص بك وزير محمد علي باشا حيث كان الاخير متغيبا بالسودان في ذلك الوقت ، وحصل كامبل على وعد من باغوص بك بانه سيبادر بتبليغ ذلك الاحتجاج الى الوالي فور عودته وانكر المسؤول المصري بان يكون لمحمد علي اية اطماع في جزر البحرين ، وللدلالة على تعاظم الاهتمام البريطاني بالبحرين وحرص حكومة الهند على ابعاد النشاط المصري من الوصول اليها ، مانود التذكير به من ان شؤون الخليج العربي كانت من اختصاص حكومة بومباي ولم يكن تدخل حكومة لندن في تلك الشؤون الا في الامور الهامة التي تستوجب تدخلها ، ومن ثم فان اهتمام وزارة الخارجية في لندن بالتحركات المصرية يؤكد لنا اهمية تلك التحركات ليس بكونها تشكل خطراً على حكومة الهند وانما على الامبراطورية البريطانية باسرها ، وتوافقاً مع هذه التوجيهات بعث بالمرستون الى حكومة الهند برسالة يلفت نظرها الى ضرورة معارضة أي تقدم يقوم به خورشيد باشا في الخليج العربي ويطالبها بالتدخل المسلح اذا ما اقتضت الضرورة ذلك ، مركزاً على مايشكله استيلاء مصر على جزر البحرين من خطر على مركز بريطانيا في المنطقة .[1]

اتخذ الموقف البريطاني ازاء التوسع المصري في مرحلته الثانية موقفاً آخر يختلف تماما عن الموقف في المرحلة الاولى ، اذ تركز على ضرورة التصدي للتوسع المصري بكل الوسائل بما فيها اللجوء الى القوة العسكرية ، وتنفيذاً لمتطلبات هذه السياسة سارع بالتوجه الاميرال فردريك ميتلاند Maitland) قائد البحرية البريطانية في الهند الى الخليج العربي حتى وصل الى البحرين ، حيث وجد ان شيوخ الاخيرة كانوا على استعداد للاعتراف بالسيادة المصرية ، لذا راى من الحكمة عدم القيام باي عمل عسكري ، كما فوض هنيل Hennell) المقيم البريطاني في الخليج العربي بان يقوم بتحذير القائد المصري من عاقبة الاستمرار في عملياته العسكرية في المنطقة ، وكان لهذا الموقف المتشدد تأثيره على تفكير محمد علي باشا الذي تظاهر بانه لايفكر في الوقت الحاضر في غزو بغداد خاصة وان جيوشه مشغولة بتوطيد الامن في بلاد

١- قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٦٢-٤٦٣ .

الشام، وتاكيدا لهذا التظاهر فانه رفض ان يجيب مطلب خورشيد باشا الخاص بارسال قوة بحرية عن طريق الخليج العربي لتكون عوناً لقواته التي ذهبت للاستيلاء على القطيف قائلاً :((ان ارسال السفن من جدة الى ميناء القطيف لايوافق بعض المحذورات)) ولاشك فان رد القاهرة يعني هنا بالمحذورات الوجود البريطاني في الخليج العربي مما اقلق خورشيد باشا وجعله يفكر في مدى جديدة هذه المحذورات.[١]

- الاتفاقية المصرية .البحرينية عام ١٨٣٩ ونتائجها

وعندما راى شيخ البحرين عبد الله بن احمد نجاح قوات محمد علي في الجزيرة العربية وما اعقب ذلك من توجه خورشيد باشا الى جعل البحرين منطقة نفوذ تابعة للحكومة المصرية ، واحتمال استغلال السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط اسم النشاط المصري لمهاجمة البحرين وضمها الى سلطنته ، حاول شيخ البحرين الحصول على حماية اجنبية ، ولما لم يجد من البريطانيين وحكومة الهند وممثلها (هنيل) في المنطقة اية استجابة عملية حتى اذار عام ١٨٣٩ فيما عدا مايصرح به المسؤولون البريطانيون عن عدم رضاهم من تصاعد النشاط المصري على سواحل الخليج العربي، فاتجه الشيخ عبد الله بن احمد لطلب المعونة من الحكومة الفارسية غير ان لهولاء مطامعهم الخاصة في جزر البحرين ومطالبهم المالية نظير وجود مبعوث فارسي هناك، ولما كان شيخ البحرين يعاني من مصاعب داخلية سببها الخلافات الاسرية ، فانه وحسب ما اوردته الوثائق المصرية طلب اجراء لقاء بالقائد المصري.[٢]

لما اتضحت نوايا خورشيد باشا حيال البحرين امرت حكومة بومباي (ميتلاند) قائد الاسطول البريطاني في مياه الخليج العربي في ١ نيسان عام ١٨٣٩ بان يقدم احتجاجاً للقائد المصري يحذره من مغبة توسيع نفوذه ليشمل البحرين وطبقاً لما ذكرته المصادر البريطانية فقد طلب منه ان يستخدم كل امكاناته وبقوة لمنع القائد المصري من التقدم وفوضه بان يقدم لشيخ البحرين عبد الله بن احمد كل معونة تمكنه من المقاومة

١- انظر د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، دور البصرة في احداث نجد وشرقي الجزيرة العربية في عهد محمد علي ١٨١٩-١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية، مجلة حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد ٤ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ص ٦٧-٦٨ ؛قاسم ، الخليج ،ص ٤٦٥.

٢- العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ،١٩٨٢ ، ص ١٣٦ ؛ غنيمي الشيخ ، ارتباط، ص٨٦٢.

دون التورط في حرب فعلية ، فيما تمثل رد خورشيد باشا على التحذير البريطاني بان كتب القائد المصري الى المقيم البريطاني في الخليج العربي محاولاً جس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة قواته لفتوحاتها ، ورد (هنيل) على رسالة خورشيد باشا بان طلب منه عدم اتخاذ أي اجراء ضد البحرين قبل توجيه انذار الى رعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزر قبل وقت كاف ، ثم توالت التحركات البريطانية الرامية الى وقف التقدم المصري والعمل على افشال مخططات محمد علي باشا في المنطقة واتخذت طابعاً يشير الى تعظم الخطر المصري الموجه لتهديد المصالح البريطانية فقد اصدرت حكومة الهند في ١٨ نيسان عام ١٨٣٩ اوامر حاسمة بان خولت (ميتلاند) قائد البحرية البريطانية بان يقوم باخبار شيخ البحرين بانه تحت حماية مؤقتة من جانب الاسطول البريطاني في حالة طلبه ذلك ، واذا فشلت هذه الاجراءات فعلى القائد البريطاني ابلاغ خورشيد باشا بان يحمله المسؤولية كاملة في حالة عبوره الخليج العربي الى جزر البحرين، وعليه بعد تبليغ هذا الانذار ان ينصرف لاعداد وسائل الدفاع عن البحرين بقدر ماتسعفه الامكانات المتوفرة له وفعلاً قام (ميتلاند) بزيارة البحرين بصحبة الكابتن ادموندز Edmonds) مساعد المقيم البريطاني على ظهر سفينة حربية وقدم له الشيخ تعهداً كتابياً من جانبه بالا يضع نفسه تحت سلطة او حماية اية دولة اجنبية قبل استشارة المقيم البريطاني في الخليج العربي.[١]

ويبدو ان البحرين كانت تمثل وزناً اكبر من غيرها من المشيخات لدى السلطات البريطانية ، اذ تصرفت نحوها بطريقة محمومة تحسباً لشيء بعيد الاحتمال وهو نزول قوات مصرية في جزر البحرين ، ولم يقتصر الامر على ذلك فقد تم تكليف المقيم البريطاني في ٧ ايار عام ١٨٣٩ باعداد تقرير عن حجم القوات المصرية في نجد والاحساء وعن موقف الحكام العرب على ساحل الخليج العربي من النشاط المصري ، وبعد ان اوضح (هنيل) في تقريره الذي قدمه الى حكومة الهند هذه النواحي ، فصل الموقف بالنسبة للبحرين ، اذ عد العوامل الطبيعية فيها حامية للجزر من أي غزو خارجي خاصة اذا استخدم الشيخ عبد الله بن احمد قواربه الحربية السريعة والمسلحة استخداماً حسناً ، وعلى الرغم من تهديدات السلطات البريطانية لشيخ البحرين فان

١- ج.ج. لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ٢، ترجمة ديوان امير قطر، الدوحة، ١٩٧٥، ص ١٣٠٥-١٣٠٧.

الاخير وعلى مايبدو كان يقدر الظروف التي تحيط به ويقدر انتماءه العربي [٢] ، لـذلك وجدناه يدخل في مفاوضات مع محمد رفعت افندي ممثل محمد علي باشا لاجـل عقـد اتفاقية تنظم علاقة البحرين بالاحساء وبالسلطات المصرية هناك.[٣]

بدأت المباحثات بين الجانبين المصري والبحريني يوم السـبت ٧ ايـار عـام ١٨٣٩ عند خور حسان بساحل قطر حيث يوجد شيخ البحرين وانتهت بتوقيع اتفاقية بين الطرفين تضمنت شروطاً اهمها:

١. يحق لشيخ البحرين فرض الرسوم على سفن الغوص العاملة في البحرين ، ولايحـق له فرض تلك الرسوم على السفن العاملة في القطيف . ويبدو ان السلطات المصـرية كانت تهدف من وراء ذلك انهاء أي صفة من صفات التبعية التي كان يمارسها شيخ البحرين على منطقة الاحساء .

٢. يعترف شيخ البحرين بان اهل قطر من البدو والحضر رعايا لخورشيد باشا ، ومن ثم يلتزم هؤلاء بدفع الزكاة للسلطات المصرية على كل مالديهم من ماشية او قطيع مما يشير الى اعتراف صريح من جانب شيخ البحرين بتبعية قطر المباشـرة للسـلطات المصرية .

٣. يوافق شيخ البحرين على اقامة وكيل معتمد من قبل خورشيد باشا في البحرين يشرف على المصالح المصرية هناك ، وان كان قد طلب ارجاء ذلك بعض الوقـت لتمهيـد الامر امام المواطنين هناك ، ويبدو ان مندوب خورشيد باشا في المباحثات كان يهدف من وراء ذلك الى ايجاد نوع من الاشراف المصري على شؤون البحـرين ضـماناً لتنفيذ شروط الاتفاق الموقع بينهما ومنعا لنجاح الضغوط التي كان يتعرض لها شيخ البحرين من قبل القوى الخارجية المحلية منها او الاجنبية .

٤. يلتزم شيخ البحرين بتقديم المساعدات لخورشيد باشا من السفن والرجال الى أي جهة من مناطق الخليج العربي ماعدا الكويت ، وفي هذا دليل على رغبته في ضـم هـذه المناطق كما ضم الشام والحجاز ، كما يضمن خورشيد باشا بهذا الالتزام المساعدات اللازمة التي تكفل لقواته حرية الحركة لتنفيذ مهامها في المنطقة ، في وقت فقدت فيه

٢- انظر غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص ص ٨٧٦-٨٧٧ .

٣- د. محمد عرابي نخلة ، تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨- ١٩١٣، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٠، ص٧٧ .

تلك القوات الامل في وصول اية سفن مصرية الى منطقة الخليج العربي نتيجة للضغوط التي تعرضت لها السلطات الحاكمة في القاهرة من قبل البريطانيين .

٥. يلتزم شيخ البحرين بتسليم أي من الرعايا التابعين لمحمد علي الفارين اليه وقد ضمن المندوب المصري بذلك الالتزام عدم خروج زعماء العشائر على حكومة محمد علي باشا حيث كان هؤلاء يجدون في السابق من شيخ البحرين الامان والاستقرار.

٦. يتعهد شيخ البحرين بتسليم السلطات المصرية زكاة مقدارها ثلاثة آلاف ريال وهو المبلغ الذي كان يدفعه من قبل لآل سعود مما يشير الى نوع العلاقة التي ربطت البحرين بحكومة مصر بمقتضى هذا الاتفاق .[١]

كتب الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة رسالة الى خورشيد باشا عقب توقيع الاتفاقية مع محمد افندي رفعت بتاريخ ٨ ايار ١٨٣٩ ، اكد فيها التزامه بما جاء في نصوصها بان: ((نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم وانتم كذلك ، ويؤدي لجنابكم الزكاة .... وصار حالنا معكم حال واحد ... الخ)) ، والاتفاقية بنصها على عدم ارسال مبعوث يمثل محمد علي باشا مقيم في البحرين وترك امورها الداخلية بيد شيوخها، تنفي الاتهامات البريطانية التي تشير الى تطلعات محمد علي باشا الى استعمار البحرين وارسال قوات عسكرية لاحتلال تلك الجزر لحساب والي مصر ، وهو امر بعيد الاحتمال لان أي هجوم على الجزر يعد من وجهة النظر البريطانية عملاً خطيراً في جرأته ، وكان احتمال ان تقوم به قوات محمد علي باشا احتمالاً ضعيفاً .[١]

اثار توقيع الاتفاقية المذكورة قلقاً شديداً في الاوساط البريطانية التي حملت خورشيد باشا مسؤولية أي ضرر يلحق بالرعايا البريطانيين ومؤكدة استعداد حكومة بومباي على تقديم الحماية للبحرين وضمان الحكم لاسرة آل خليفة ، وكتب بالمرستون الى بونسونبي Ponsonby) السفير البريطاني في الاستانة بتاريخ ١١مايو(ايار) عام ١٨٣٩ يطلب منه الاتصال بالباب العالي لمعرفة مدى موافقة السلطان العثماني على التحركات المصرية في شبه الجزيرة العربية وان يبين للحكومة العثمانية مدى الخطر الذي ستتعرض له باشوية بغداد اذا تمكنت القوات المصرية من توطيد اقدامها في الخليج العربي ، كما قدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً صارخاً على توقيع الاتفاقية المصرية ـ البحرينية ، واعلن (هنيل) المقيم البريطاني في المنطقة بوثيقة رسمية

١- لمزيد من التفاصيل انظر احمد ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٠-١٥١.

١- غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص٧٢ .

مؤرخة عام ١٨٣٩ عدم مشروعية تلك المعاهدة لانها مخالفة صريحة للوعود التي اعطاها محمد علي باشا الى السلطات البريطانية والمتضمنة عدم قيامه بحركات حربية، فضلاً عن مخالفة تلك الاتفاقية لمعاهدة عام ١٨٢٤ التي سبق وان عقدتها حكومة بومباي مع شيخ البحرين ، ولم يقتصر الامر على مجرد الاحتجاج وانما قام (هنيل) بنفسه بمقابلة الشيخ عبد الله بن احمد في ٢٨ يوليو (تموز) من العام ذاته بهدف ان يثنيه عن مشروع تحالفه هذا وحفلت المقابلة بالكثير من التهديد والترغيب معاً ، اذ عرض المقيم البريطاني على شيخ البحرين ان يقدم له الحماية من طرف حكومته وان لاياخذ منه ضرائب لمدة خمسة وعشرين عاماً وان تمنحه الحكومة البريطانية تاييدها التام ، وطلب منه ان يعطيه المعاهدة ليمزقها ولكن الشيخ اصر على اتفاقه مع محمد علي باشا وكان مما ذكره للمقيم البريطاني : ((انني وان كنت قد طلبت منكم فعلاً الحماية ، ولكن ما قلت لكم ان اكون من جملة رعايا الانجليز ، وثانياً انما كان طلب الحماية من خوفي من عساكر محمد علي باشا واما اليوم فقد تصالحنا وربطنا الصلح بشروط ، واننا منذ القديم مشتركين مع اهل نجد جيراننا في التجارة فلا يمكن ايضاً ان نفرق عن مالنا وملكنا)) كما ذكر له ايضاً ((ان البحرين ملكنا ورثناه عن اجدادنا وليس بيننا شروط لان نكون رعية للانجليز ، ولم اظهر أي سبب لذلك غير الصداقة وليس للانجليز ان يتعدوا علينا ، فاذا ماكنتم تشرعون في الحرب قوة واقتداراً فاننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا وعيالنا واهلنا ودیننا وليحصل بعد ذلك مايحصل)).[١]

على ان المصادر البريطانية اشارت الى المبررات التي قدمها الشيخ عبد الله بن احمد للمقيم البريطاني في اثناء اللقاء الذي تم بينهما وقدم فيها الاخير احتجاج بلاده الرسمي ، وهي مادفعته الى توقيع الاتفاقية مع الجانب المصري ،فقد حاول الشيخ ان يشرح (لهنيل) انه لم يتخل عن وعده للكابتن (ادموندز) مؤكدا ان هذه الاتفاقية مع المصريين ،على الرغم من انها ابرمت مؤخراً الا ان الاتفاق عليها تم منذ وقت طويل أي قبل وصول ميتلاند الى البحرين في نيسان عام ١٨٣٩ ، وبرر مسلكه هذا بما حدث قبل ثلاثة اشهر حين رفض المقيم البريطاني ان يقدم للشيخ نصيحة او تاكيداً محدداً بالمساعدة، وسلم (هنيل) احتجاجاً تحريرياً على تلك الاتفاقية لشيخ البحرين كما سلمت نسخة تتضمن نفس العبارات تقريباً لخورشيد باشا ، واشار المقيم البريطاني للشيخ الى

١- قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١-١٨٦١) القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ص ١٨٠-١٨١.

احتمال ان تعتبره الحكومة البريطانية بسبب علاقاته مع القوات المصرية بانه يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا ... واحتج الشيخ في رده بانه لن يضع نفسه ابداً ضد مصالح الحكومة البريطانية حتى لو طلبت اليه القوات المصرية ذلك ، وعرض ان ينقض اتفاقيته مع الباشا المصري اذا قدمت اليه السلطات البريطانية وعداً صريحاً بحمايته.(٢)

وبعد مغادرة (هنيل) للبحرين ، قام محمد رفعت افندي بزيارتها مرة اخرى حتى يقف على احوال شيخها بعد مقابلة (هنيل) له ، وهناك تاكد من ان الشيخ عبد الله باق على العهد مع الحكومة المصرية ، كما جاء في صورة الجرنال المحضر من طرف محمد افندي ، اذ قال :((... وصلنا الى البحرين في ثالث شهر جمادى الاولى سنة تاريخية فوجدنا عبد الله بن احمد حضر من مدة عشرين يوماً من قطر الى البحرين ومقيم في قلعة ... المسماة بالرق فوجدناه بالمحل المذكور واقمنا عنده ليلة وامتحناه هل هو باقي على العهد والميثاق الذي صار بيننا وبينه وسالناه عما صار من الانجليز ... فالذي ظهر لنا منه انه باقي على العهد والميثاق الذي صار بيننا وبينه ...)) وكل هذا يؤكد لنا الترحيب البحراني بالمصريين ويدحض الافتراءات البريطانية التي كانت تحاول تصوير المصريين في صورة استعمارية في محاولة لطمس الحقائق والابقاء على التجزئة في الوطن العربي.(١)

من جانب اخر اشارت الوثائق المصرية المعاصرة الى خطأ ماتروجه المصادر البريطانية التي عللت اقدام شيخ البحرين على توطيد صلاته مع المسؤولين المصريين وابتعاده عن موالاة الحكومة البريطانية واوعزتها الى كبر سنه وضعف قواه ، وتؤكد موافقته على وضع بلاده ضمن مشروع محمد علي باشا وجهوده لاقامة دولة عربية موحدة عن ايمان وقناعة كبيرين ، ومما يعزز ذلك موقفه الواضح من البريطانيين ورفضه ضغوطهم المستمرة عليه ، وقد نقل عنه قوله لمبعوث خورشيد باشا الشيخ شافعي مانصه :((مادمت في قيد الحياة فانني لااستسلم للانجليز وافهم منذ ثلاثين سنة وهم يحتالون علينا وسابذل جميع مالي وقوتي ، انني في الثمانين وقد بلغت آخر العمر فلان نموت جميعاً اولى من ان نكون رعية للكفار وافضل شيء واشرفه ان لانرى ذلك اليوم)) ، الامر الذي شكل خطراً مباشراً على المصالح البريطانية في منطقة الخليج

٢- انظر لوريمر ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٠٨ -١٣٠٩.

١- د.فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الكويت ١٩٨١، ص ١٣٣-١٣٤ .

العربي عموماً والبحرين بخاصة ، لذلك سارعت بريطانيا الى تقويض مشروع محمد علي باشا ووضع حد له ، والى شي من هذا القبيل اشار بالمرستون بقوله ان بريطانيا لايمكن ان تسلم بوجود الخطر المصري الداهم في الخليج العربي فهي حامية لاستقلال الدولة العثمانية وسلامة اراضيها وتريد ان تضطلع بامانة بالمسؤولية المنوطة بها استناداً الى معاهدة الصداقة التي وقعتها الحكومة البريطانية مع السلطات العثمانية في عام ١٨٣٩ ولهذا هددت بالدفاع عن الخليج العربي بقوة السلاح حفاظاً على الحقوق الشرعية لسيادة السلطان.[٢]

وازاء اصرار الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة على موقفه الرافض للتهديدات والضغوط البريطانية التي مورست عليه ، ظلت بريطانيا تتحين الفرصة المناسبة للقضاء على مشروع محمد علي باشا نهائياً في الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي، والتي جاءت اثر النزاع الذي نشب بين السلطان العثماني ووالي مصر ونجاح بريطانيا في دفع الدول الكبرى باتجاه معاداة محمد علي باشا ، ثم تحولت الاوضاع السياسية الى ازمة دولية بعد انتصار القوات المصرية على الجيش العثماني في معركة نزيب في ٢٤ حزيران عام ١٨٣٩ واندفاعها صوب العاصمة استانبول ، فتصدت لها الدول الكبرى وارغمت محمد علي باشا طبقاً لمعاهدة لندن التي وقعت في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٨٤٠ على سحب قواته من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الشام ، لقناعته بان بلاده لا تستطيع بقواها الخاصة مقاومة الدول الاربع الكبرى (بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا) لقاء تأمين حقوق سلالته الوراثية على مصر .[١]

على أية حال ظل شيخ البحرين صامدا امام التهديدات البريطانية ضده الى ان انسحب الجيش المصري عام ١٨٤٠ ففقد بذلك سنداً في مقاومته لتلك المؤامرات والتهديدات ، ومع ذلك ظل الشيخ عبد الله بن احمد متمسكاً باتفاقه مع الجانب المصري حتى انسحبت قواتهم من الخليج العربي ، وقد برر تمسكه هذا بقوله انه اذا قام بالفعل بنقض هذا الاتفاق فلا بد ان المصريين سيفسرون هذا العمل بانه استجابة لضغط من جانب

٢- د. محمود علي الداود ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، بغداد، ١٩٨٠ ، ص٣٥ ؛ احمد ، المصدر السابق ص ص ١٥٦ – ١٥٧.

لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة د. عفيفة البستاني ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٤١ ١٤٣ ، عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

السلطات البريطانية ، وجاء انسحاب القوات المصرية من المنطقة عام ١٨٤٠ ليضع نهاية للنشاط المصري في البحرين .[١]

في الوقت نفسه حدثت خلافات عام ١٨٤٠ بين الشيخ عبد الله بن احمد وابن اخيه الشيخ محمد بن خليفة على السلطة ، وقد شجعت هذه الخلافات الدول المجاورة على تجديد مطامعها في البحرين ، الامر الذي دفع البريطانيين الى التدخل للحيلولة دون ضم البحرين الى أي من هذه الدول ، وكانت المطامع الفارسية اشد خطورة من غيرها وذلك لاصرار السلطات الفارسية على مطالبتها بالسيادة على البحرين ، ثم تهديدات السعوديون الذين استعادوا نفوذهم في الجزيرة اثر انسحاب القوات المصرية عام ١٨٤٠، فقد ساند فيصل بن تركي الشيخ محمد بن خليفة ضد منافسه حاكم البحرين ، وبالاضافة الى الطامعين السابقين فقد تجدد طموح الدولة العثمانية ايضاً في منطقة الخليج العربي .[٢]

لم تغفر الحكومة البريطانية للشيخ عبد الله بن احمد تعاونه مع المصريين وتخليه عن صداقته للبريطانيين وعدته بتصرفه هذا غير مخلص لها، لذلك اجتمعت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية البريطانية وبحثت امكانية عزل شيخ البحرين عن الحكم ، ومن ثم لا نعجب ان نسمع عن وقوع اضطرابات وفتن في البحرين منذ عام ١٨٤٠ لا تهدأ الا بعزل الشيخ عبد الله عن حكم البلاد عام ١٨٤٣ ،ومن ثم سمحت بريطانيا لمنافسه الشيخ محمد بن خليفة بالانقضاض على السلطة وطرد الشيخ عبد الله من البحرين عقاباً له على مواقفه من الحكم المصري لذلك لم يعد المسؤولون البريطانيون في الخليج العربي بحاجة الى تنفيذ تعليمات حكوماتهم باستخدام القوة ضد القوات المصرية .[١]

وفي كل الاحوال ابرزت الوقائع في بعض جوانبها التي اوردها البحث في ثناياه كيف حالت الدسائس البريطانية دون تثبيت اقدام المصريين في البحرين ، وزد على ذلك ان الاخيرين لم تكن لديهم قواعد ثابتة يتمونون منها في مؤخرة الخليج العربي أي في بلاد نجد ، الامر الذي اسهم في اضعاف مجهوداتهم السياسية والعسكرية في

١- غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص ٨٦٣ .

٢- ابراهيم خلف العبيدي، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ -١٩٧١، بغداد ، ١٩٧٦،ص ٣٥ - ٣٦ .

١- احمد ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ؛ غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص ٧٤ .

منطقتي الجزيرة العربية والخليج العربي عموماً ، ومهد الطريق لترسيخ الوجود البريطاني هناك ، وعلى الجانب الاخر ادى انسحاب القوات المصرية من المنطقة الى اثارة انتباه القوى الاوربية الاخرى بسبب اهمية مشيخات الخليج العربي ومنها البحرين في الحفاظ على مصالحها الحيوية ، بل وادى التوسع المصري الى دخول المنطقة برمتها في اطار السياسات الاوربية والتي اتضحت جلياً في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر .[٢]

مقابل ذلك واجهت البحرين في الحقبة نفسها تنافس القوى المحلية في محاولة كل طرف فرض هيمنته على البحرين لاعتبارات اوردها البحث كالامراء السعوديين وسلاطين عمان الى جانب تطلعات حكام فارس ورغبتهم المعلنة في الاستحواذ على جزر البحرين ، وفي خضم اشتداد حالة التنافس بين القوى المحلية والدولية في محاولاتها تحقيق اهدافها المعروفة خلال تلك الحقبة التاريخية ، ظل عتوب البحرين هم اصحاب الكلمة الاولى في ادارة شؤون بلادهم، مع العلم انهم اعترفوا وفي ظل ظروف واوضاع معينة بولاء اضطراري لمسقط والدولة السعودية والسلطة العثمانية في العراق اضافة الى حكام فارس .

وهكذا نلمس كيف ادت بريطانيا دوراً فعالاً وبالتنسيق مع دول اوربية اخرى في عدم تحقيق محمد علي باشا والي مصر مشروعه السياسي الرامي الى اقامة دولة عربية موحدة تحت زعامته ، ففي الوقت الذي كانت تعمل فيه على انهاء الوجود المصري في بلاد الشام محققة تحالفاً مع الدولة العثمانية لتحقيق ذات الاهداف نراها تنشط ايضاً في منطقة الخليج العربي بالاتجاه نفسه ، فعلى اثر اندحار القواسم في معركة رأس الخيمة عام ١٨١٩ امام القوات البريطانية ، انفسح الطريق للحكومة البريطانية بأن تفرض على شيوخ الامارات العربية ومنهم شيخ البحرين معاهدة عام ١٨٢٠ وبحجة المحافظة على الامن ومحاربة ما تسميه السلطات البريطانية بتجارة الرقيق وعمليات القرصنة في مياه الخليج العربي .

وبخصوص البحرين اتضح لنا مدى حرص المسؤولين البريطانيين على متابعة تحركات محمد علي باشا ونشاطات قادته العسكريين منذ العقدين الأولين من القرن التاسع عشر، وتوغل قواتهم في الجزيرة العربية وتزايد اهتمام حكومة لندن بضرورة

٢- د . فائق بكر الصواف،العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ما بين(١٢٩٣ - ١٣٣٤ هـ/ ١٨٧٦- ١٩١٦م)مكة المكرمة ،١٣٩٨ هـ /١٩٨٢ م ،ص ص٦٦ - ٦٧ .

أحكام سيطرتها على جزر البحرين خاصة بعد سقوط الدولة السعودية الثانية عام ١٨٣٨ على أيدي القوات المصرية ، واندفاع الأخيرة صوب سواحل الخليج العربي ،ومن ثم نجاح ممثلي محمد علي باشا وفي مقدمتهم خورشيد باشا قائده العسكري ومحمد افندي رفعت الذي تولى مهمة التفاوض في عقد المعاهدة مع شيخ البحرين عام ١٨٣٩ ، والتي نظر اليها المراقبون بكونها دليلاً على تصاعد النفوذ المصري في البحرين ، وهو الامر الذي اثار استياء حكومة لندن وسلطات بومباي على حد سواء وشجعها في اصدار الاوامر الى مقيمها في الخليج العربي الكابتن (هنيل) بضرورة استخدامه كل الوسائل الممكنة بما فيها القوة العسكرية للحيلولة دون بقاء النفوذ المصري هناك ، فيما راح البريطانيون يتعجلون الخطى في حبك الدسائس واثارة الفتن والاضطرابات وبهدف ازاحة شيخ البحرين عن السلطة وقد تم لهم ذلك بالفعل عام ١٨٤٣.